الحمد لله القدير الذي هدانا إلى سواء السبيل بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أنزله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وجعله رحمة وهدى وبُشرىٰ للذين يعملون الصالحات . وبنبيّه الذي بعثه في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (١) وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد :

فمما لا شكّ فيه عند كل مسلم عالم بموارد الدين الإسلامي ومصادره ، أنّ هذا الدين مبني على أساسين لا ثالث لهما . وهما القرآن والسنة . فالقرآن الكريم هو الأصل الأول الذي يجب على كل مسلم أن يرجع إليه في كل أمر وُيحكِّمه في كل مسألة ويعمل بما ورد فيه من الأحكام الشرعية والأوامر الربانية ويؤمن بكل ما جاء فيه من المبادئ والعقائد . كما أنّ السنة النبوية هي الأصل الثاني الذي يفزع إليه المسلم عند كل حادث ويسترشد به في جميع أموره العقدية والشرعية والدينية والدنيوية .

والآيات والأحاديث في بيان هذه الحقيقة وتجليتها كثيرة جداً ، لا داعي لسردها في هذه العجالة . لذا سوف أكتفي ببعض تلك الآيات والأحاديث .

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »[٥] .

وقال ﷺ : « ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحِلّوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » .[٦]

وقد سلك سبيل التمسك بالكتاب والسنة ، الصحابةُ وتابعوهم وأئمة الهدى ، فكانوا إذا وجدوا مسألةً في القرآن لم يتحولوا عنه إلى غيره ، فإذا لم يجدوا في كتاب الله ، أخذوا بسنة رسول الله ﷺ ولم يقبلوا منهما بديلا ، ولم يعارضوا نص الكتاب والسنة بالاحتمالات العقلية والخيالات النفسية والعصبية المذهبية . وقد وردت آثار كثيرة من الصحابة والتابعين تدل على أنهم لم يرجحوا شيئًا على حديث رسول الله ﷺ في أية حال من الأحوال ...

فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « اتقوا الرأي في دينكم » . وكان يقول : « إن أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين يُسألوا أن يقولوا لا نعلم ، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم »(٧) .

وقال ابن عباس : « إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته أم في سيئاته »(٨) .

واستمرت الأمة تأخذ عقائدها وأحكامها الشرعية من الكتاب والسنة رأساً . وترى فيهما الكفاية والشفاء . ثم جاء بعد ذلك عصر الفتوح واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل في الإسلام كثير من أهل الديانات الأخرى واختلطوا بالمسلمين في كل مكان . وسهّل هذا الاختلاط على المسلمين الوقوفَ على ما عند هؤلاء من مذاهب وأفكار ونظريات وتشريع ، فتأثروا بها ووجد أُناس أخذوا يفسرون بها الإسلام وعقيدته ثم جَدّت فتن وأحداث سياسية كبرى شقت صفوف المسلمين وفرّقت جماعتهم وأثارت بينهم مجادلات سياسية ودينية اصطبغت بمرّ الزمن بصبغة الدين . وظهرت في الإسلام فرق جديدة كالخوارج والشيعة والمرجئة ، وأخذت تتجادل حول بعض المسائل الدينية . كما وُجدت مذاهب فقهية عديدة ، ووُجد لكل منها متعصبون من عامة المسلمين وخاصتهم وتناحروا فيما بينهم وتباغضوا وتعصب كل حزب بما لديه حتى وصل بهم الأمر إلى رفض الكتاب والسنة وجعلهما وراء ظهورهم .

ولكن رغم كل هذه العصبيات والبُعد عن المنابع الأصلية للدين ، وُجد في كل عصر ومصر أئمة مهتدون ومحدثون كبار ومجددون للدين الحنيف ، دعوا الأمة الإسلامية إلى التمسك بالكتاب والسنة والعودة إليهما ، وبيّنوا لها أنه لا خلاص لها من أمراضها إلا بالعودة إلى الدين

الصحيح والبعد عن الأفكار المستوردة والمذاهب الهدامة والفلسفات والنظريات التي لا صلة لها بالدين الصحيح .

فلما كان القرن السابع الهجري اشتد الأمر وأصبح الظلام دامساً وافترقت الأمة على فرق ومذاهب وتناحر المسلمون بينهم من أجل عقائد لا صلة لها بالدين . وتعصب كل صاحب مذهب لمذهبه أشد تعصب حتى نسوا القرآن والسنة ، وأخذت الأمة ترزح تحت دياجير الظلام الحالك . فأظهر الله في أوائل القرن الثامن الهجري زعيم المجددين وقائد النهضة الإسلامية وحامل راية الكتاب والسنة ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الذي حمل مشعل الدعوة إلى الكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل حال وفي كل عصر وبلد . وقد كان رحمه الله قويا في إيمانه ، مخلصاً لدعوته ، جريئاً في الحق ، لا يبالي بما يلقى من الأذى في سبيله ، فأعلن مذهب السلف الصالح في جرأة وصراحة ، وهاجم جميع الفرق والمذاهب المنحرفة القائمة في عصره ، ودعا الناس إلى طريقة السلف الأول من الصحابة والتابعين وحارب كل غريب مستحدث ، وخلص الدين مما لحق به من أوضار أو شابَه من فساد .

ففي السطور الآتية سوف أحاول أن أكتب عن ناحية مهمة من نواحي حياته العلمية والدعوية ، بل هي أهم ناحية في حياته وأساس دعوته ، ألا وهو حمله راية الدعوة إلى الكتاب والسنة وإرجاع الإسلام إلى منابعه الصحيحة وإقامة الحجج الدامغة على أن الإسلام لا يعني غير الكتاب والسنة وأن كل ما هو غير ثابت بأحد منهما فهو مردود ومرفوض لا يساوي جناح بعوضة ولا يعادل ذرة من التراب .

حتى استطاع أن يخلص الإسلام من الشوائب وقَدَّمه للأمة الإسلامية في صورته الأصلية البعيدة عن الزيغ والضلال .

فأقــول وبالله التوفيـق :

حياته ونشأته : هو تقي الدين أبو العباس أحمد بـن عبـد الحليم بـن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي .

وُلد بمدينة « حرّان » إحدى مدن العراق ، وهي الآن في تركيا . وكانت آنذاك مهد العلم والعلماء ، وُلد في يوم الإثنين الموافق اليوم العاشر من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وست مائة للهجرة النبوية . هاجر مع أبيه وعمره سبع سنوات إلى مدينة دمشق بعد أن أغار التتار على حران . وتجشم الصِعاب مع أسرته في الطريق . كانوا يسيرون ليلاً خوفاً من العدو ، وهم يحملون متاعهم الثمين وهو الكتب على عجلةٍ ، لعدم توافر الدواب . ويكاد العدو يلحقهم ، لولا فضل الله ورحمته .

وكان والده من ذوي الفضل والعلم واشتهر أمره في الوعظ والتدريس والإرشاد والتعليم بجامع دمشق الأعظم حيث تولى مشيخة دار الحديث السكرية[٩] . توفي والده سنة ستمائة واثنتين وثمانين بدمشق . رحمة الله عليه .

يكاد يُجمع المؤرخون على أن ابن تيمية نشأ في عفاف وتقى وصلاح ، وعَوَّد نفسه على الاقتصاد في الملبس والمأكل . وكان براً بوالديه ورعاً ، عابداً ، ناسكاً ، صوّاماً ، قوّاماً ، وقّافاً عند حدود الله ، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، راغباً في العلم وناهماً له ، لا يَملُّ من المطالعة ولا يكِلُّ من البحث .

كلما دخل باباً من أبواب العلم فتحه الله على مصراعيه ، وتفوق على حُذّاق ذلك الفن وأئمته ، كان يحضر المجالس والمحافل العلمية من صغره ، فيتكلم ويناظر ويُفحم الكبار ويأتي بما يتحيّر منه أعيان ذلك العلم .

وكان فصيح اللسان ، سريع القراءة ، قويّ الذاكرة ، بل نادرة في الحفظ . وقف حياته للعلم والعلماء ، والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله والجهاد في سبيل إعلاء كلمته . أشغلته مهام الأمور الدينية والعلمية ، فلم يتزوج ولاتسرّى ولا تملَّكَ مالاً ولا عقاراً . ولم يهتم بأمور الدنيا قط . أخوه شرف الدين هو الذي كان يقوم بمصالحه . ما كان يطلب منه غداءً ولا عشاءً في أغلب الأحيان . حج سنة إحدى وتسعين وستمائة وعمره ثلاثون سنة ، ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، وأصبح شيخ الإسلام والمسلمين بشهادة أصدقائه ومعارضيه ، رحمة الله عليه .

كبار مشايخه : سمع من خلق كثيرين ، من أكثر من مائتين ، وسمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية ، ومن هؤلاء : الشيخ شمس الدين والشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم ، والشيخ أبو اليسر والكمال ابن عبد الله والمجد بن عساكر والجمال يحيى ابن الصيرفي وأحمد بن أبي الخير والقاسم والأربلي والشيخ فخر الدين ابن البخاري والكمال عبد الرحيم وأبو القاسم بن علال وأحمد بن شيبان وزينب بنت مكي .

وأقبل على تفسير القرآن الكريم ، وعُني بالحديث النبوي ، ونظر في الكلام وفي الفلسفة وفي العلوم الأخرى الرائجة في ذلك الوقت ، وبرز في كل منها على أصله ، وتأهل للفتوى والتدريس وعمره دون العشرين سنة[١٠] .

براعته في تفسير القرآن الكريم : أقبل على تفسير القرآن الكريم وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر وقّاد ، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها .

قال الذهبي : (ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه) . وقال : (كان آية من آيات الله في التفسير

والتوسع فيه . لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين) . وقال : (حكى لي من سمعته يقول : إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً أستحضر من الجميع الصحيح الذي فيها)[١١] وقال ابن كثير : (جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضاً يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيّئ له لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله في تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير من كثرة ما يورد من العلوم المتنوعة المحررة)[١٢] .

ولقد أملى في تفسير ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مجلداً كبيراً ، وفي قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، نحو خمس وثلاثين كراسة .[١٣]

براعته في علوم السنة : عُني بالحديث النبوي وسمع الكتب الستة والمسند للإمام أحمد مرات ، ومعجم الطبراني الكبير ومالا يحصى من الكتب ، ونسخ الأجزاء ، ودار على الشيوخ ، وخرّج وانتقى ، وبرع في الرجال والطبقات وعلل الحديث وفقهه ، وحصّل ما لم يُحصّله غيره ، وصار من أئمة النقد ، فقلّ من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزواً إلى أصوله وصحابته ، وكان شديد الاستحضار للسنة النبوية وقت إقامة الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عليه ، وهكذا نصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذي في ذات الله من المخالفين ، وأخيف في نصر السنن المحمدية ، حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له .

كتب الحافظ ابن سيد الناس في جواب سؤالات الدمياطي في حق ابن تيمية : ألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً ، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً[١٤] .

وقال الذهبي في تاريخه الكبير بعد ترجمة طويلة بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) .[١٥]

وترجم له ابن الزملكاني ترجمة طويلة وأثنى عليه ثناءاً عظيماً وقال : (ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة) .[١٦]

وقال الحافظ المزي : (ما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه) .[١٧]

وقال أبو حفص البزار : (أما معرفته وبصره بسنة رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصّه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم ، وأحوالهم وأحوال مجاهداتهم في دين الله ، وما خصوا به من بين الأمة ، فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك وأعرفهم فيه ، وأسرعهم استحضاراً لما يريده منه ، فإنه قلّ أن ذَكَرَ حديثاً في مصنف وفتوى أو استشهد به أو استدل به إلا عزاه في أي دواوين الإسلام هو ، ومن أيّ قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرها ، وذكر اسم راويه من الصحابة ، وقلّ أن يُسأل عن أثر إلا وبيّنه في الحال ، حاله ، وحال أمره ، وذكره .

ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر أخذ وسُجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغاراً وكباراً وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها ، وفي أي موضع فيها . كل ذلك بديهة من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذٍ كتاب يطالعه .

ونقّيت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغيير ، ومن جملتها كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » . وهذا من الفضل الذي خصه الله تعالى به) .[١٨]

وقال في مكان آخر : (وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه من استنباط المعاني في الألفاظ النبوية والأخبار المروية وإبراز الدلائل على المسائل ، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه ، وإيضاح المخصص للعام ، والمقيد للمطلق ، والناسخ للمنسوخ ، وتبيين ضوابطها ، ولوازمها وملزوماتها ، وما يترتب عليها وما يحتاج فيه إليها ، حتى إذا ذكر آية أو حديثا ، وتبين معانيه وما أريد به ، يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه فيه) .[١٩] .

ولأجل هذا قال الذهبي بعد أن أطال الكلام عن ابن تيمية وأثنى عليه كثيراً : (وهو أكبر من أن ينبه علىٰ سيرته مثلي ، والله لو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت بعيني مثله ، وأنه ما رأى مثل نفسه لَمَا حنثت) .[٢٠]

وقال الحافظ عماد الدين الواسطي : (والله ثم والله لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته) .[٢١]

دعوته للرجوع إلى الكتاب والسنة :

وقد نهج رحمة الله عليه النهج الذي عاد بالإسلام إلى عهد الصحابة في عقائده وأصوله وفروعه ، وإذا استيقن أن ما يقوله هو ما كان عليه الصحابة دافع عنه بالحجة والبرهان واستخدم في هذا السبيل كل ما أوتي من الأسباب العلمية ، فأثار إعجاب كبار العلماء وأغضب المبتدعة ، واحتسب الأجر ونال الأذى في هذا السبيل .

قال رحمه الله : (وليُعلم أنه ليس أحد من الأئمة ، المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً . يعتمد مخالفة رسول الله ﷺ بشيء من سنته ، دقيقٍ ولا جليلٍ ، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ) .(٢٢)

وقال : (وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحد من الناس ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة فأجابه فيها بحديث ، فقال له : قال أبو بكر وعمر ، فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر) ..

وقال : (ثم إننا ، مع العلم بأن التارك الموصوف معذور ، بل مأجور لا يمنعنا أن نتبع الأحاديث الصحيحة التي لا نعلم لها معارضاً يدفعها وأن نعتقد وجوب العمل بها على الأمة ، ووجوب تبليغها) .(٢٣)

وقال رحمه الله : (قد ذمّ الله في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه ، وهذا هو التقليد الذي حرّمه الله ورسوله ، وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول . وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد . فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان ، في سِرِّه وعلانيته وفي جميع أحواله) .

ثم ذكر رحمه الله الآيات التي تدل على أنّ اتباع الرسول من الإيمان ، ثم قال : (وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من الأربعين موضعاً من القرآن ، وطاعته طاعة الله) . إلى أن قال : (والمقصود هنا أنّ التقليد المحرم بالنص والإجماع ، أن يُعارِض قولَ الله ورسوله بما يخالف ذلك ، كائنا من كان المخالف لذلك) .

وقال : (إن الله سبحانه لما ذكر حال من يقول على الله بلا علم بل تقليد السلف ، ذكر حال من يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيّنه للناس في الكتاب ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) .

فهٰذا حال من كتم علم الرسول ، وذلك حال من عدل عنها إلى خلافها ، والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلّد أحداً من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول ﷺ سواء كان صاحباً أو تابعاً أو أحد الفقهاء أو غيرهم .

ومن ادعى إجماعاً يخالف نص الرسول من غير نص يكون موافقاً لما يدعيه ، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم ، وأن الإجماع ينسخ النص ، كما تقوله طائفة من أهل الكلام والرأي ، فهذا من جنس هؤلاء .

وقال رحمه الله : (وكثير من الفقهاء المتأخرين أو أكثرهم يقولون : إنهم عاجزون عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول ، فيجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة نص الرسول ويقلدونهم . ولا ريب أن كثيراً من الناس يحتاج إلى تقليد العلماء في الأمور العارضة التي لا يستقل هو بمعرفتها . ومن سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف من يجعل شيخه كذلك ، بل قد يجعله كالمعصوم ! ولا يتلقى سلوكه إلا عنه ، ولا يتلقى عن الرسول سلوكه ، مع أن تلقي السلوك عن الرسول أسهل من تلقي الفروع المتنازعة فيها ، فإن السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق ، وهذا كله مبيَّن في الكتاب والسنة ، فإنّ هذا بمنزلة الغذاء الذي لابد للمؤمن منه .

ولهذا جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول ، ولا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة ....) إلى أن

قال : (ولكن كثيراً من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوي الذي يُعرف به طريق الله ورسوله ، فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخ . وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين ، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد ، كلها منصوصة في الكتاب والسنة وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة ، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف ، وهكذا طريق العبادة عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع ، فيقعون في البدع ، فيقع فيهم الخلاف . وهكذا الفقه إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع) .[٢٥]

وقال ابن رجب في طبقاته : (وبلغني من طريق صحيح عن ابن الزملكاني أنه سئل عن الشيخ ، يعني ابن تيمية ، فقال : لم يُرَ من خمسمائة سنة ـ أو قال أربعمائة سنة ، والشك من الناقل ، وغالب ظنه أنه قال : من خمسمائة ـ أحفظ منه) .[٢٦]

وقال ابن فضل الله العمرى : (أخمل من القُرَنَاء كل عظيم ، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم ، ولم يكن منهم إلا من يَجْفلُ عنه إجفال الظليم ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم) .[٢٧]

وقال الحسن بن حبيب : (ابن تيمية بحر زاخر في النقليات ، وحبر ماهر في حفظ عقائل العقليات ، وإمام في معرفة الكتاب والسنة) .[٢٨]

تجديده لمعالم الدين :

ذكر علماء الإسلام أن أهل الإيمان يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أنواع حسب مدارج الإيمان ومراتب العلم والعمل الصالح : السابقون الأولون ، ثم المقتصِدون ، ثم ضعفاء الطريق . وهذا الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود قال : قال الرسول

ﷺ : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) .[٢٩]

فقد أشيرَ في هذا الحديث إلى الدرجات الإيمانية الثلاث . والحديث صريح في الدرجات الثلاث بالنسبة للذين يحاربون البدعة ويُجاهدون ضد الذين يحاربون الدين وشريعته . ولكن الأمر ليس محصوراً في الرد على المبتدعة فقط بل هو سارٍ في جميع ميادين العلم والعمل . ولكن المجال الأكبر والأوسع لهذا هو الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وتبليغ دين الله إلى البشرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهة أعداء الله وأصحاب البدع .

والطبقة المُثلى من الطبقات الثلاث والدرجة العليا من درجات الإيمان هم الذين اختارهم الله لإصلاح البشرية ، ودعوة الشعوب والأقوام إلى الحق الذي لا مِرية فيه ، وهم الذين يستنيرون بنور النبوة ، وينهجون منهج الأنبياء ، ويسلكون السبيل الذي هو سبيل الحق والرشاد ، وهم ورثة الأنبياء بكل ما تعني الكلمة من المعاني السامية .

ولكن هؤلاء العُظماء لا يأتون في كل زمان ، ولا يأتون إلا في عدد قليل . إنهم لا يأتون إلا ليصلحوا ما أفسده الناس في عصرهم ، وما لم يستطع أن يصلحه كبار ذلك العصر وعلماؤه ومُصلحوه ودُعاته . إنهم لا يبالون بالعراقيل التي تواجههم في الطريق ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ولا يخضعون للمصائب والبلايا التي تريد أن تَسُدَّ عليهم الطريق إلى الأمام . وهم لا يقفلون أبواب بيوتهم على أنفسهم خوفاً من الشدائد وحفاظاً على أنفسهم ، زاعمين أن الفتن ادلهمت ، والشرور

استولت على الأمور ، فلا عليهم إلاّ أن يحموا أنفسهم من الشرور والفتن . إنهم يأتون في العصر الملىء بالفتن والبدع والخرافات ، العصر الذي يزعم فيه كبار العلماء أنّ الحق والدعوة إليه أن لا تتزلزل أقدامهم وأن لا يقعوا فيما وقع فيه الناس فيأتي ذلك المُجدِّد الذي لا يبالي بأي شيء في سبيل الإصلاح ، ويستقي من نور النبوة ويتقدم لإصلاح معالم الدين التي أفسدها المفسدون من المبتدعة والملاحدة والمنطقيين والفلاسفة وأهل الأهواء والفرق الضالة ، ويصعد في الدَّرجات العُلىٰ حتى يصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يتصور الوصول إليه عظماء ذلك العصر .

ولقد كانت نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري عصرا مليئًا بالأحداث السياسية والدينية والفكرية ، الأمر الذي هَزّ كيان الأمة الإسلامية ، وأبعدها من المنابع الصافية للإسلام ، وأشغلها بعقائد وأفكار لم تكن تمتُّ إلى الإسلام بشيء . دخلت الفلسفة والمنطق إلى حياة الأمة ، وجعلت أفكار اليونان تأخذ مكان العقائد الإسلامية ، وانعكست القضية ، حيث أصبح المسلمون في معزل عن الكتاب والسُنّة ، فأخذ المسلمون يستنبطون عقائدهم من الفلسفة والمنطق ، كما أخذوا يتغلغلون في الدقائق والتفريعات الفقهية ، بعيدين عن الكتاب والسُنّة ، وأصبح كل صاحب مذهب فقهي يفرح بما لديه من الآراء والأقيسة ويُشَنِّع على الآخرين ، واستولى الفكر المذهبي على أذهان الناس ، حتى بات الحديثُ عن الكتاب والسنة حديثاً غريباً ، وصارت دعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة دعوة شاذة ، يُؤذىٰ صاحبها ، ويُبتَرُ لسان المنادي بها ، وهكذا تغيرت معالم الدين ، وكاد أن ينطفىء ـ لا قدر الله ـ مشعل القرآن والسنة ، لولا أن تداركت رحمة ربنا ، فجاء الإمام الربّاني شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أحمد بن تيمية . وقد كانت البلاد الإسلامية بها آلاف من العلماء البارزين والدُعاة والمصلحين ، ولكنَّ مرتبة العزيمة التي كانت تتطلب نفساً عالية ، لم

يتأصل لها غيرُ شيخ الإسلام . فقد ذكر القاضي أبو البركات المخزومي أن بلاد الشام فقط كان بها سبعون مجتهداً . والتاريخ يشهد أن الأئمة والحُفّاظ والنُقّاد الذين وُجدوا في ذلك العصر لم يُوجَدُوا مجتمعين في عصر آخر منهم : أبو الفتح بن سيد الناس الأشبيلي ، وشمس الدين المقدسي ، وأبو العلى الأنصاري السبكي ، والقاضي الزملكاني ، وأبو العباس بن عمر الواسطي ، وأبو الفداء عماد الدين ، والحافظ ابن قدامة المقدسي ، والإمام بُرهان الدين الفزاري ، والحافظ صلاح الدين البعلبكي ، والشيخ صفي الدين البغدادي ، والحافظ البرزالي الأشبيلي ، وتقي الدين السبكي ، والحافظ جمال الدين المزي ، والإمام تقي الدين ابن دقيق العيد ، والحافظ أبو عبد الله الذهبي وغيرهم كثيرون من الذين ، ذكر حياتهم وسيرهم ، الحافظ الذهبي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني في كتبهما . وأخص منهم بالذكر الحافظ المزي ، والحافظ البرزالي ، وابن دقيق العيد والحافظ الذهبي . فقد كان كل منهم إماماً في الحديث وعلومه . وخاصة الإمام الذهبي فإنّ أياديه على الأمة عظيمة ، ولا يشاركه في هذه الأفضال إلا الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فقد حفظا على الأمة الإسلامية سنة رسولها ، وضبطا ، ودوّنا ، ونقدا وجمعا أحوال الرواة وأخبارهم ، وكشفا الصحيح والضعيف ، ومَيّزا بين المقبول والمردود ، حتى أصبح العمل بالسنة سهلاً ميسوراً للمسلمين . فإنه لا يخفى على من لديه إلمام بتاريخ السُنّة ، أنها مرت بعهدين ، العهد الأول عهد التدوين ، والثاني عهد التنقيح والتمييز ، وهما من فُرسان العهد الأول بل من رُوّاده ، حتى أصبحت السنة وعلومها مُدَوّنة ومنقحة وسهلةً ميسورة للعمل بها لكل من أراد التمسك بالكتاب والسنة .

ولكن هل تجد أحداً من هؤلاء العظماء استطاع أن يُدرِك غبار شيخ الإسلام رحمة الله عليه ؟ الجواب لا ، فإن شيخ الإسلام فاق أقرانه وأهل عصره في جميع العلوم والفنون ، ومع ذلك نال درجة لم ينلها غيره ،

وهي درجة العزيمة في الدعوة إلى الله ورُتبة تجديد معالم الدين وإعادة الأمة إلى حظيرة الكتاب والسنة . حتى أجمع أهل عصره على القول بأنهم مارأوا مثله وأنه ما رأى مثل نفسه . وقد مرت أقوال الأئمة في عصره للاعتراف بهذا .(٣٠)

ولا بأس أن أذكر هٰهنا ملخص ما ذكره الحافظ ابن كثير عما جرى للشيخ عماد الدين الواسطي . فقد ذكر ، أن الواسطي هذا كان في أول الأمر من الفقهاء المتكلمين ، وكان يغلب عليه الجدل والكلام والرأي ، فلما انتقل من مصر إلى بغداد والتقى بأهلها وعُلمائها وتوسّعت مداركه وحاسب نفسه وجدها فارغة عن الطمأنينة ، فترك سبيل الفقهاء والمتكلمين واتجه إلى التصوف واقترب من المتصوفة ، فلما رأى ما رأى عندهم من الغرائب ، تكدر طبعه وقرر السفر إلى دمشق وحضر مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكان الدرس الأول عن المتكلمين والفلاسفة وعن فقدهم طمأنينة القلب ، وأن مشاهيرهم اعترفوا بهذا ، وشهدوا على أنفسهم بالاضطراب والحيرة اللذين سببهما الكلام والفلاسفة في قلوبهم ، فقالوا :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلاّ واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذقِن أو قارعاً سن نادم

أو قالوا :

نهاية أرباب العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

يقول الشيخ عماد الدين ما معناه : إن شيخ الإسلام استمر في كلامه وأوضح أن الدواء الناجع لأمراض القلب ، والسبب الوحيد لنيل طمأنينته ، هو التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فانقشع الظلام ، وزالت الحيرة ، ووجدتُ نور الحقيقة الذي كنتُ حيرانَ من أجله .

قال : فلما اطلع شيخ الإسلام على أحوالي أوصاني بقراءة السيرة النبوية فإنّها الوصفة الكافية الشافية من جميع أمراض القلوب .[٣١]

أقول : وهل تعني السيرة النبوية إلا سنة الرسول ﷺ وهل السنة إلا تفسير لكتاب الله ، فتبين بذلك أن شيخ الإسلام أوضح للواسطي ولغيره أنه لا نجاة للأمة الإسلامية من جميع أمراضها إلا في اتباع كتاب الله وسنة رسوله . وهذا عين تجديد معالم الدين ودعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة .[٣٢]

وقد اعترف الشيخ ولي الله الدهلوي لشيخ الإسلام بجميع تلك المزايا والأوصاف التي أَهَّلَتْهُ ليكون مُجدداً لمعالم الدين ومُحيياً للكتاب والسنة .

فقد قال رحمه الله :

(وعلى هذا الأصل اعتقدنا في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فإنا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية وحافظ لسنة رسول الله ﷺ وآثار السلف ، عارف لمعانيهما اللغوية والشرعية ، أستاذٌ في النحو واللغة ، مُحرّر لمذهب الحنابلة وفروعه وأصوله ، فائق في الذكاء ، ذُو لسان وبلاغة في الذبّ عن عقيدة أهل السنة ، لم يُؤثر عنه فسق ولا بدعة ، اللهم إلا هذه الأمور التي ضُيِّقَ عليه لأجلها ، وليس شيء منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة ، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العلم ، أو من يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وحديثه . والذين ضيّقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى ، وإن كان تضييقه ذلك ناشئا عن اجتهاد . ومشاجرةُ العلماء في مثل ذلك ما هي إلا كمشاجرة الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم والواجب في ذلك كُفّ اللسان إلا بخير .[٣٣]

محاربته للعقائد والأفكار المضادة للكتاب والسنة :

لا يخفى على كل من لديه معرفة بالكتاب والسنة أنّهما شملا بيان العقائد والشرائع وجميع ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية . ولكن جدَّت في الإسلام فتن وأحداث سياسية كبرىٰ ووُجدت مذاهب وأفكار اصطبغت بصبغة الدين ، كما ظهرت فرق جديدة مثل الخوارج والشيعة والمرجئة وغيّرت معالم الدين ، واشتدت هذه الفتن ونشطت الفرق الضالة في عصر شيخ الإسلام ، وكادت أن تغطي على حقائق الإسلام وصدقه وبهائه ، فجاء شيخ الإسلام ليردّ إلى الإسلام نضارته ويدحض الباطل ويكشف زيغ الفرق الباطلة التي أرادت أن تشوّه العقائد الأساسية للإسلام وشريعته السمحاء وهاجم جميع الفرق والمذاهب المنحرفة عن الكتاب والسنة القائمة في عصره .

واختصّ الأشعرية من ذلك بالنصيب الأوفر ، كما أنّه ناقش مناهج الفلاسفة والمتكلمين في بحث الشؤون الإلٰهية ونقدها وبيّن أنّ المناهج التي سلكها هؤلاء وأولئك ، كانت بعيدة كل البعد عن الصواب ، وأنّهم أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلٰهية ، وأنّ أكثر كلامهم فيها خبط وتخليط ، لأنّهم لم يستضيئوا بنور النبوة ، فمزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه على أصولهم الفلسفية الفاسدة ، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة على حساب الدين ، فعمدوا إلى النصوص فأوّلوها بتأويلاتٍ بعيدة ومتكلفة حتى تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية .

وهكذا الأشاعرة المتأخرون لجأوا إلى التأويل في الصفات الخبرية كغيرهم من الفلاسفة والمعتزلة وخلاصة القول عن الفرق الثلاث ، أعني الفلاسفة والمعتزلة والأشعرية عند ابن تيمية ، أنّ مناهجهم في العقيدة بعيدة عن الحق ، لأنّهم جميعا سلّموا بقضية عامة ، وهي أنّه إذا تعارض العقل والنقل ، وجب تقديم العقل ، فحكّموا عقولهم في مسائل العقيدة

وتلاعبوا بالنصوص ، فإذا كانت ثابتة بحيث لا يمكن ردّها جعلوها من التشابه ، وإلاّ بادروا إلى إنكارها .[٣٤]

ولكن الأشاعرة في نظره خير من المعتزلة ومن عداهم من سائر الفرق الأخرىٰ ، لأنّهم يوافقون السلف في كثير من المسائل ، كما أنّهم ردُّوا على بدع المعتزلة والجهمية والرافضة ، وبيّنوا كثيراً من تناقضاتهم وعظّموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة .[٣٥]

وقد تصدّى لبيان اتجاهه المبني على الكتاب والسنة في العقيدة والأسماء والصفات والتمسك بالكتاب والسنة في مقدمة كتابه الحموية ، وأوضح فكرته بكل تفصيل . ومما قال فيها : (من المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أمّته كل شيء حتى الخِراءة . وقال : « تركتكم على المحّجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . وقال فيما صحّ عنه أيضاً . « ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يُدل أمته على خير ما يعلمه لهم . وينهاهم عن شرّ ما يعلمه لهم » .

وقال أبو ذر : لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يُقَلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ــ وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » . رواه البخاري محال مع هذا ، ومع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ، وإنْ دَقَّ ، أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدون بقلوبهم في ربّهم ومعبودهم ، رب العالمين ....) .... إلى أن قال : (إنّ هؤلاء المبتدعة الذين يُفضّلون طريقة الخلف من المتفلسفة ، ومن حذا حذوهم ، على طريق السلف ، إنَّما أتوا من حيث ظنّوا أنّ طريقة السلف هي مجرد

الإيمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[٣٦] .

ومن أحسن ما قرأت في بيان قوة شيخ الإسلام في هذا الجانب ، هو ما كتبه تلميذه أبو حفص البزّار ، فقد قال رحمة الله عليه : (وأما ما خصّه الله تعالىٰ به من معارضة أهل البدع في بدعتهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، وما ألّفه في ذلك من دحض أقوالهم وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، وإظهار عوارهم وانتحالهم وتبديد شملهم . وقطع أوصالهم . وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية بما منحه الله تعالىٰ من البصائر الرحمانية والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية ، حتى انكشف قناع الحق ، وبان فيما جمعه في ذلك وألّفه ، الكذبُ من الصدق ، حتى لو أنّ أصحابها أحياء ووُفِّقوا لغير الشقاء ، لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق) .

ثم قال : (حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء النبلاء المُمعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لإصابة الصواب وتمييز القشر من اللُّباب ، أنّ كلاً منهم لم يزل حائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم ، وأنّه لم يستقرَّ في قلبه منها قول ،ولم يبينْ له من مضمونها حقٌ . بل رآها كلها مُوقعةً في الحيرة والتضليل ، وجُلّها مُذْعِنٌ بتكافؤ الأدلة والتعليل ، وأنّه كان خائفًا على نفسه ، حتى منّ الله تعالىٰ ، عليه بمطالعته مؤلفات هذا الإمام أحمد بن تيمية شيخ الإسلام مما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام ، فما هو إلا أن وقف عليها وفحصها ، فرآها موافقةً للعقل السليم وعلمها ، حتى انجلىٰ ما كان قد غشيه من أحوال المتكلمين من الظلام ، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشكّ وظفر بالمرام)[٣٧] .

محاربته للتصوف الزائف :

لا شكّ عند المسلم الصحيح العقيدة أنّ أيّ أمر وأيّ سلوك ، إن لم يكن موافقاً للشريعة . فهو ضلال وصاحبه ضالّ ومائل عن الطريق السويّ . لذلك لم يكن يُتوقع من شيخ الإسلام إلا كشف زيغ الصوفية الضلاّل الذين أغووا الأمة وأضلّوها وجاءوا بعقائد وأعمال وأفكار وأخيلة لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة . ولا يخفى على اللبيب أنّ كلامي لا يشمل السلوك الثابت في القرآن والسنة . إنّما الكلام عن الضلال والغواية والكفر والفساد التي جاء بها الصوفية الضُلاّل الذين عادَوا القرآن والسنة حيناً جهاراً وآخر سرًّا . وعكسوا القضية حيث نبذوا الإسلام الصحيح ، وأدخلوا فيه كل ما جاء النبي ﷺ لمحاربته . ومن تلك الأباطيل والضلالات ، تنسّك الهنود ، وعقيدة الحلول والاتحاد ، ومذهب وحدة الوجود ، وتقسيم الدين إلى الظاهر والباطن ، وفتنة الرموز والأسرار ، والعلم الدفين ، وسقوط التكاليف الشرعية عن الكاملين والواصلين واستثناؤهم عن الأحكام الشرعية . فقد كانت هذه الأفكار والمعتقدات دخلت فيما سُمِّي بالتصوف .

وكانت الفتنة قد استفحلت في القرنين السابع والثامن . فجاء هذا المجدّد العظيم الذي تناول هذه الفئة الباغية على دين الله بهدم كيانها وكشف قناعها . حتى تعرّت حقائقها لكل راءٍ ومُستمَع . إنّ هؤلاء الصوفية قالوا بجواز حلول الله في الآدميين ، وأظهر من قال بهذا هو الحلاّج ، ثم جاء ابن عربي فحكم بوحدة الوجود ، وأنّ الوجود واحد ، تعددت صوره وأشكاله . وأنّ المخلوق يتحد مع الخالق من حيث المحبة والشوق ، فيتصل بالله ويعلو إليه ، فيكون في درجة فناء ذاته الفانية في ذات الله الباقية . وقد جاءت هذه الفكرة في شعر عمر بن الفارض ، الذي أمعن شيخ الإسلام في نقده .

وقد ذكر شيخ الإسلام أنّ ابن عربي ادّعىٰ أنّ أصحاب النار يتنعمون في النار كما يتنعم أهل الجنّة في الجنّة وأنّه يسمّى عذاباً ، من عذوبة طعمه . وهذا مما يُعلم فساده بالإضطرار من دين الإسلام .(٣٨)

وقد تكلم طائفة من التصوف في تحقيق التوحيد ، فزعموا أنّ توحيد الربوبية هو الغاية والفناء فيه هو النهاية ، وأنّه إذا شهد ذلك ، سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح ، فآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي والوعد والوعيد .

وقد حكم عليهم شيخ الإسلام فقال : (هذا هو الكفر الصريح) .

وقد ردّ على القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد فقال : (يقول عارفهم : السالك في أول أمره يُفرّق بين الطاعة والمعصية . أي نظراً إلى الأمر ، ثم يرىٰ طاعة بلا معصية ، أي نظراً إلى القدر ، ثم لا طاعة ولا معصية ، نظراً إلى أنّ الوجود واحدٌ) .

ثم ردّ عليهم فقال : (صفات الله توجب مباينة لمخلوقاته ، وأنّه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته . قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .(٣٩)

وقد زعم ابن عربي : أنّ الولاية أساس المرتبة الروحية كلها ، وأنّ النبوة والرسالة تنقطعان ، لأنّهما مقيدتان بالزمان والمكان . أما الولاية فلا تنقطع أبداً ، لأنّ المعرفة الكاملة بالله لا تنقطع ولا تحدُّ بزمان أو مكان . كما أنّ العلم الشرعي يُوحىٰ به إلى الرسول على لسان المَلَك ، أما العلم الباطني عند الولي ، فهو إرث يرثه من منبع الفيض الروحي جميعه .

وقد ردّ عليه شيخ الإسلام لكون هذه العقيدة خطراً يهدد كيان الإسلام ولكونها مخالفة للعقل والشرع ، وهي بيّنة الضلال والكفر ، لأنّها تحرّر عن الدين والشريعة والعقيدة التي جاء بها الرسل جميعاً وخروج على الله وبغيٌ وفساد في الأرض .(٤٠)

ولا أريد استقصاء جميع أباطيل الصوفية وردّ شيخ الإسلام عليها . إنّما أردتُ عرض بعض النماذج من أفكارهم وخطورتها على الإسلام والمسلمين ، حتى يتبيّن لنا الأسباب الحقيقية لاهتمام شيخ الإسلام بتتبع تلك الضلالات والردّ عليها . فشنّ عليهم حرباً شعواء أقضّ مضاجعهم ، وناقش أقوالهم مناقشة العارف لها الفاحص لدقائقها العارف لأسرارها .

ومن أعظم ما ألّف شيخ الإسلام في هذا الخصوص هو كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » فقد فصّل فيه القول في الولاية الرحمانية وبيان صفاتها من الكتاب والسُنّة وأقوال السلف الصالح ، وفرّق بين ذلك وبين الولاية الشيطانية الصوفية التي تعتمد على الشعوذات والدجل والكذب وأكل أموال الناس بالباطل والسماع والغناء والرقص ، والبدع المنكرة في الدين والتظاهر بالصلاح والتقوىٰ .

ولقد أجاد شيخ الإسلام أيّما إجادة في بيان الكرامة الرحمانية التي هي حق لولي الله ، والكرامة الشيطانية التي تجري أحيانا على أيدي هؤلاء ، كتظاهرهم بالدخول في النيران وزعموا أنّها لا تضرهم ، وحملهم الحيّات والثعابين ، أو ضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام وغير ذلك من أنواع المخاريق التي يزعمون أنّها من كراماتهم .

وقد قام شيخ الإسلام بتحدي هؤلاء الصوفية الذين يزعمون هذه الكرامات ، وأنّه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولها . وأنّها تُحرقهم إن شاء الله ولا تُحرقه ، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أولاً بالخلّ ، وذلك لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار . فلما كشف حِيَلهم وتحدّاهم ، وكان ذلك بمحضر السلطان تراجعوا من ذلك وظهر كذبهم ومخاريقهم .[٤١]

استقلاله في أخذ الفقه من الكتاب والسُنَة :

لا يفوتني أن أوضّح نقطة هامة في حياة شيخ الإسلام . وهي استقلاله الفكري وقدرته الاجتهادية المطلقة للاستفادة من كتاب الله

وسنة رسوله . فقد وُجد في عصره من اشتهروا بالذكاء والذاكرة والتبحر العلمي ، ولكنّهم كانوا أتباعاً للأئمة السابقين ومذاهبهم الفقهية ، ولم يقدر أحد منهم أن يستقل بآرائه ويتجرأ على الجهر باختياراته ما دام الكتاب والسُنّة يؤيدانها . أما شيخ الإسلام ، فقد درس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار السلف الصالح بكل شمولية وعُمق ، ثم اختار ما ترجَّح بالكتاب والسنة وجهر به من دون أن يبالي بالذي قال خلافه من الأئمة السابقين فهو تابع للدليل ، يدور معه حيثما دار .

وهذا الذي أشار إليه تلميذه أبو حفص البزار عندما قال : (كان لا يذكر رسول الله ﷺ إلا ويُصلّي ويُسلّم ، ولا والله ما رأيت أحداً أشدّ تعظيما لرسول الله ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى إذا كان أورد شيئاً من حديثه في مسألة ، ويرىٰ أنّه لم ينسخه شيء غيره من حديثه يعمل به ويقضي بمقتضاه ، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائناً من كان . وقال رضي الله عنه : (كل قائل إنمَا يُحتجّ لقوله ، لا به ، إلا الله ورسوله)[٤٢] .

وقال ابن الوردي : (له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، قلّ أن يتكلم في مسألة إلاّ ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنّف فيها واحتجّ لها بالكتاب والسُنّة) . ثم قال : (وبقي سنين ، لا يُفتي بمذهب معيّن ، بل بما قام الدليل عليه عنده . ولقد نصر السنة المحضة واحتجّ لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون ، وهابوا ، وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه ، وبدّعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لا يُداهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المُرّ الذي أدىٰ إليه اجتهاده وحِدّة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال) .[٤٣]

وكتب الحافظ ابن كثير عن شيخ الإسلام ، فقال : (ثم إنّ الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً لاشتغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية ، ففي بعض الأحكام يُفتي بما أدىٰ إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يُفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم . وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة أفتى بما أدىٰ إليه اجتهاده ، واستدلّ على ذلك من الكتاب والسُنّة وأقوال الصحابة والسلف) .(٤٤)

وهناك أقوال كثيرة أخرىٰ لأئمة عصره ، اعترفوا له فيها بالإمامة والاستقلال الفكري والتبحر العلمي وتفوقه بدرجات كثيرة على معاصريه في علوم القرآن والسُنّة والشروط التي يجب توافرها للاجتهاد ، ولذلك رُغم اعترافه الصريح بعلو مكانة الأئمة الأربعة وحسن اجتهادهم وتفوقهم العلمي على كثير من الأئمة ، جاهرَ بأنّ كل أحد يؤخذ من قوله ويُترك ، إلا رسول الله ﷺ ، وخالفَ تلك المذاهب الفقهية في كثير من المسائل ، اتباعاً لنصوص الكتاب والسنة ، ولم يُبالِ من هو هذا الشخص الذي يخالفه ، ما دامت الأدلة من الكتاب والسُنّة تؤيّده .

فهو من أصحاب الاجتهاد المطلق الذي لم ينتسب لمذهب من المذاهب . ولاَ يُنْقَضُ هذا القول بما ذكره بعض الناس من استمساكه بالمذهب الحنبلي في أكثر أدواره وفي أكثر آرائه ، وإعلانه أنّ المذهب الحنبلي خير المذاهب ، لأنّ هذا يدلُّ على أنّ شمولية علم شيخ الإسلام للكتاب والسُنّة ، أوصلته إلى معرفة أنّ المذهب الحنبلي هو خير المذاهب ، لأنّ دليله على هذا هو إثبات أنّ المذهب الحنبلي أقرب المذاهب إلى السُنّة .

ولا يعني كونه مجتهداً مطلقاً أن يخالف الأئمة الأربعة في أكثر المسائل ، لأنّ هذا يستدعي إلى القول بأحد الأمرين إما أنّ تلك المذاهب غير مؤسسة على القرآن والسنة ، لأنّ شيخ الإسلام يمشي مع الدليل

من الكتاب والسنة حيثما أوجده أو أن يكون شيخ الإسلام لم يكتمل فيه شروط الاجتهاد ، ومن أهمها استيعاب القرآن والسنة ، حتى خالف الأئمة الأربعة على غير بصيرة ، وهذا لم يقله أحدٌ . فترجيحه لرأي من الآراء حسب الدليل لا يعني البتة أنّه مقلد للإمام الذي قال بذلك القول قبل شيخ الإسلام ، أو أنّه مجتهد منتسب من مجتهدي الحنابلة فقد اختار من المسائل في الفقه بالدليل ، ووافق ما وافق فيه من المسائل لأحد الأئمة الأربعة بالحجة والبُرهان .

ومن هذا القبيل رأيه رحمه الله في يمين الطلاق ، وفيمن طلق زوجته ثلاثاً بلفظة واحدة ، وكلامه في التوسّل بالنبي ﷺ بعد وفاته . فاختياراته في هذه المسائل وفي غيرها لم تكن إلا مدعَّمةً بالأدلة الواضحة الصريحة من الكتاب والسنة . ولا يسع هذا المقام لذكر التفاصيل لتلك الاختيارات وأدلتها ، ولكن الذي لا مرية فيه ، أنّه رحمه الله كان متبعاً للدليل من الكتاب والسنة . وقد علمنا فيما مضى من هو شيخ الإسلام ، وما مكانته في معرفة الكتاب والسنة ، فإنّه لم يشق غباره في هذا الأمر . ولم يكن شاذاً في اختياراته ، فقد قالها الصحابة والأئمة من قبله . فليرجع إلى كتبه رحمه الله والكتب الحديثية من أراد التفصيل والاطلاع على تلك الأدلة .(٤٥)

المحن التي ابتُلي بها :

لقد خاض شيخ الإسلام معارك ضارية مع معاصريه في منازعات عقائدية وفكرية ، فكثر أعداؤه من شتّى الطوائف ، فكان له خصوم من الصوفية الذين حارب شيخ الإسلام تواكلهم وغلوهم في الزهد وخروجهم عن منهج الكتاب والسنة ، ومن المتكلمين الذين كره تأثرهم بمصادر أجنبية وإدخالهم في العقيدة الإسلامية من الضلالات التي لا تمتُّ إليها بصلة ، ومن الفقهاء الذين جمد تفكيرهم وركنوا إلى التقليد الجامد وقفلوا في وجوههم أبواب الكتاب والسُنّة .

تآمر الأعداء والخصوم على شيخ الإسلام ، فلفّقوا له التهم الكاذبة ، ولكن إيمانه العميق بالله أمدّه بصبر شديد على ما ابتُلي به من المحن ومنعِهِ من التدريس والإفتاء وسجنه ، فلا يكاد يخرج من السجن إلا ويعود إليه ، فقضى سنوات طويلة معاقباً بالحبس في سجون دمشق والقاهرة والأسكندرية ، ولم يرحمه أعداؤه حتى في شيخوخته ، فلفظ أنفاسه الأخيرة في سجنه بقلعة دمشق ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه بما يجزي به عباده الصالحين البررة المجاهدين في سبيله .

زهده في الدنيا ومكارم أخلاقه :

كان رحمة الله عليه سيفاً مسلولاً على المخالفين لدين الله ، كما عرفنا ، وشجاً في حلوق أهل الأهواء والمبتدعة ، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنّت بذكره الأمصار وضنّت بمثله الأعصار ، كما قال ابن شاكر الكتبي : (لذا نعته أعداء السنة والمبتدعة بالخشونة ومساوئ الأخلاق ، وأنّه كان فظاً غليظ القلب ، لم تطرق الرحمة أبواب قلبه) .

ولا يكون البهت أشنع من هذا ولا عداوة أشدّ من هذه العداوة ، إذ قلبوا الحقيقة وجعلوا من رجل كله خُلق كريم ، شخصاً غليظ القلب ، سيئ الأخلاق ، فلنقرأ ما كتبه ثقات عصره :

قال ابن شاكر : (حجّ سنة إحدىٰ وتسعين ، وله ثلاثون سنة ، ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والأناة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن القصد والإخلاص والابتهال إلى الله وشدة الخوف منه ودوام المراقبة له ، والتمسك بالأثر والدعاء إلى الله تعالىٰ وحُسن الأخلاق ونفع الخلق والإحسان إليهم) .[٤٦]

وقال الذهبي : (ما رأيت في هذا العالم أكرم منه ، ولا أفرغ منه عن الدنيا والدرهم ، لا يذكره ، ولا أظنّه يدور في ذهنه ، وفيه مروءة ، وقيام مع أصحابه ، وسعي في مصالحهم ، وهو فقير لا مال له) .(٤٧)

ونقل الصفدي في الوافي بالوفيات عن الذهبي : (هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أُشاهد مثله قطُّ ، والشجاعة المفرطة ، والفراغ عن ملاذ النفس : من اللباس الجميل والمأكل الطيب والراحة الدنيوية) .(٤٨)

وقال الذهبي في ذيل العبر : (وكان رأساً في الكرم والشجاعة ، قانعاً باليسير) .(٤٩)

وقال الصفدي في أعيان العصر : (هذا ، إلى كرم يضحك البرق منه على غمامه ، وجودٍ ما يصلح حاتم أن يكون في فص خاتمه ، وشجاعة يَفرُّ منها قسورة ، وإقدام يتأخر منه عنترة) .(٥٠)

وقال ابن الوردي : (وكان معظّماً لحرمات الله ، دائم الابتهال ، كثير الاستعانة . قويّ التوكل . ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يديمها ، وله من الطرف الآخر مُحِبُّون من العلماء والصلحاء والجند والأمراء والتجار والكبراء وسائر العامة) .(٥١)

وقال أبو حفص البزار : (ما رأيناه يذكر شيئاً من ملاذ الدنيا ونعيمها ، ولا كان يخوض في شيئ من حديثها ، ولا يسأل عن شيئ من معيشتها ، بل جعل همّه وحديثه في طلب الآخرة وبالقرب إلى الله) .(٥٢)

وقد عُرض عليه قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ ، فلم يقبل) .(٥٣)

وهو ذو القلب الكبير الذي كان يفيض رحمةً وعطفاً ورِقّةً حتى على خصومه الذين كادوا له ، وسعوا في إيذائه وأرادوا به سُوءاً ، فلما

قدر عليهم وأصبحوا في قبضة يده الحانية ، قال لهم ، لا تثريب عليكم يغفر الله لي ولكم .

ومن أحسن ما ورد في هذا ، هو الحوار الذي دار بين شيخ الإسلام والسلطان الناصر ، فقد أعطى السلطان الخيار الكامل لشيخ الإسلام ليفعل ما يريد في أعدائه الذين آذوه وتسببوا في سجنه وحبسه فعفا عنهم جميعاً وقد ألحّ عليه السلطان أن يأخذ ثأره من أعدائه فأصرّ شيخ الإسلام على العفو .

وقد ذكر القصة الحافظ ابن كثير والحافظ ابن عبد الهادي ، وجدير لكل من أراد أن يعرف مدى سمو النفس عند شيخ الإسلام أن يقرأ القصة بكل تفاصيلها عند المؤرخين المذكورين .(٥٤)

وفـاته رحمة الله عليه :

ذكر المؤرخون : أنّ الشيخ لما سُجن في مصر بحبس القضاة بحارة الديلم ، صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس ، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون إليه حتى صارالسجن يمتلىء منهم .(٥٥)

وقد ذكر ابن الدردي وغيره : (أنّه ورد مرسوم السلطان بسجنه بقلعة دمشق ، فأقام فيها ومعه أخوه يخدمه . وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والردّ على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن الكريم جملة كبيرة ، وظهر بعض ما كتبه واشتهر وآل الأمر إلى أن مُنِعَ من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا دواةً ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم يقول : إنّ إخراج الكتب من عنده من أعظم النعم ، وبقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد .

ومما قال وهو في حبسه : ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنّتي وبُستاني في صدري ، أين رُحت فهي معي لا تفارقني أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة . وقال : المحبوس من حُبس قَلبه عن ربّه ، والمأسور من أسره هواه) .[٥٦] وقال ابن القيم ، وهو يصف حالته في السجن : (وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيقِ العيش وخلاف الرفاهية والنعم بل ضدها ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف ، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً وأقواهم قلبا ، وأسرّهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه) .[٥٧]

مرض رحمه الله أياماً يسيرة ، وتوفي في ليلة الإثنين والعشرين من ذي القعدة ، وغُسّل وكُفّن وأُخرج وصُلّي عليه أولاً بالقلعة ، ثم صُلّي عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر . لم يتخلف أحد من الناس فيما قالوا غير أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته ، فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم . ولم يُرَ لجنازة أحدٍ ما رُئيَ لجنازته من الوقار والهيبة والعظمة والجلالة ، وتعظيم الناس لها ، وتوقيرهم إياها .

ودُفن في ذلك اليوم ، ورثاه كثير من الفضلاء بقصائد متعددة ، وتناوب الناس قبره للصلاة عليه من القُرىٰ والأطراف والأماكن والبلاد ، وصُلّي عليه في أرض مصر والشام والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها .[٥٨]

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، ورزقنا وكافة المسلمين الحياة والموت على الكتاب والسُنّة حتى نلقاه . وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

محمد لقمان السلفي

مراجع البحث

١ ـ آل عمران آية ١٦٤ .
٢ ـ الأحزاب آية ٣٦ .
٣ ـ النساء آية ٦٥ .
٤ ـ النور آية ٦٣ .
٥ ـ رواه الإمام أحمد في المسند ٥٨/٦ ، وأبو داؤد ، السُنّة ، باب لزوم السُنّة ، رقم/٤٦٠٥ . والترمذي : العلم ، باب ما نُهي عنه أن يُقال عند حديث النبي ﷺ . وابن ماجه : المقدمة ، رقم/١٣ والحاكم ١٠٨/١ ، ١٠٩ . والدارمي : المقدمة ؛ ١١٧/١ .
٦ ـ رواه أحمد في المسند ١٣٠/٤ ـ ١٣٣ . والدارمي : ١٤٤/١ وأبو داود : السُنّة ، رقم /٤٦٠٤ والترمذي : العلم ، رقم/٢٦٦٠ وابن ماجه : المقدمة ، رقم/١٢ والحاكم : ١٠٩/١ .
٧ ـ انظر إيقاظ الهمم ص/١٢ .
٨ ـ المصدر نفسه ، ص/١٣ .
٩ ـ انظر تذكرة الحُفّاظ ، ص/١٤٩٦ والبداية والنهاية ٣٠٣/١٣ .
١٠ ـ العقود الدّرية ، ص/٣ وتذكرة الحفاظ ، ص/١٣٩٦ .
١١ ـ الوافي بالوفيات ١٥/٧ ، ١٦ .
١٢ ـ البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ .
١٣ ـ الأعلام العلية ، ص/٢٤ .
١٤ ـ الشهادة الزكية ، ص/٢٦ .
١٥ ـ الكواكب الدُرّية ، ص/١٤٥ .
١٦ ـ مقدمة علم الحديث لابن تيمية ، ص/٤٥ .
١٧ ـ الرد الوافر ، ص/١٢٩ .
١٨ ـ الأعلام العلية ، ص/٢٤ ، ٢٥ .
١٩ ـ المصدر نفسه ، ص/٣١ ، ٣٢ .
٢٠ ـ ذيل طبقات الحنابلة ، ٣٩٠/٤ .
٢١ ـ العقود الدُرّية ، ص/٣١١ .
٢٢ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ص/١٠ .
٢٣ ـ المصدر نفسه ، ص/٥٤ ، ٦٨ .
٢٤ ـ البقرة/١٨٤ .
٢٥ ـ انظر مجموعة الرسائل الكمالية ، « فصل في التقليد » لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢٦ ـ الردّ الوافر ، ص/٥٦ .
٢٧ ـ المصدر نفسه ، ص/٩٦ .
٢٨ ـ المصدر نفسه ، ص/٩٦ .
٢٩ ـ رواه مسلم ، الإيمان ، حديث رقم/٨٠ والترمذي : الزهد ، باب/٣٩ والنسائي : البيعة ، باب/٣٣ .
٣٠ ـ انظر بحث الشيخ محمد داود الغزنوي بالأردية ، ص/٢١٦ ـ ٢٢٣ .
٣١ ـ المصدر نفسه ، ص/٢٣٣ ـ ٢٣٥ .
٣٢ ـ انظر العقود الدُّرية ، ص/٣١١ ، ٣١٢ .
٣٣ ـ انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، ص/٤٦ .
٣٤ ـ انظر منهاج السُنّة ٩٦/١ وتفسير سورة الإخلاص ، ص/٨٤ .
٣٥ ـ المصدر نفسه ١٢٣/١ .
٣٦ ـ العقود الدُرّية ، ص/٧٦ وما بعدها .
٣٧ ـ الأعلام العلّية ، ص/٣٢ ـ ٣٣ .
٣٨ ـ الصفدية ، ص/٢٤٤ ـ ٢٤٧ .
٣٩ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ، ص/٤٦١ ـ ٤٦٣ .
٤٠ ـ الصفدية ، ص/٢٤٤ ـ ٢٤٨ والفتاوى ٢١٩/٢ ـ ٢٢٨ .
٤١ ـ العقود الدُرّية ، ص/١٩٤ ، ١٩٥ ، والفتاوى الكبرى ، ص/٤٤٥ ـ ٤٧٦ .
٤٢ ـ الأعلام العليّة ، ص/٢٩ .
٤٣ ـ تاريخ ابن الوردي ٤٠٦/٢ ، ٤١٣ .
٤٤ ـ البداية والنهاية ، ٦٧/١٤ .
٤٥ ـ انظر جلاء العينين ، ص/٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٥١١ .
٤٦ ـ الوافي بالوفيات ، نقلاً من كتاب المنجد ، ص/٥٨ .
٤٧ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣٩٥/٤ .
٤٨ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ، للمنجد ، ص/٢٧ .
٤٩ ـ ذيول العبر للذهبي ، ص/٨٤ .
٥٠ ـ شيخ الإسلام للمنجد ، ص/٥١ .
٥١ ـ تاريخ ابن الوردي ٤٠٦/٢ .
٥٣ ـ ترجمة شيخ الإسلام ، محمد كرد علي ، ص/١١ .
٥٤ ـ البداية والنهاية ٥٣/١٤ ـ ٥٥ والعقود الدُرّية ، ص/٢٧٨ .
٥٥ ـ انظر حياة شيخ الإسلام للبيطار ، ص/٢٦ .
٥٦ ـ ذيل طبقات الحنابلة ٤٠٢/٤ .
٥٧ ـ المصدر نفسه ٤٠٢/٤ ـ ٤٠٣ .
٥٨ ـ تذكرة الحفاظ ، ص/١٤٩٦ ، ١٤٩٧ والعقود الدُرّية ، ص/٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ .